

تاريخ الاستلام: 2025/03/04 تاريخ القبول: 2025/04/23 تاريخ النشر: 2025/06/01



المفارقة في الأدب الشعبي بين موارد المعنى وتجانيه

سهم حشايشي

s.hechaichi@univ-dbkkm.dz

جامعة خيمس مليانة / الجزائر

Irony in Folk Literature: Between concealment and Revelation of Meaning

HECHAICHI Sihem

s.hechaichi@univ-dbkkm.dz

University of Khemis Miliana /Algeria

ملخص البحث

شاع تداول مصطلح (المفارقة) في الدراسات النقدية التي تُعنى بالأدب الفصيح، في حين أنه شح وجوده في البحوث التي تهتم بالأدب الشعبي، مع أن (المفارقة) تتركز عليها جل الخطابات الرسمية منها وغير الرسمية، فكما نجد بعض القصائد والومضات الشعرية والكتابات النثرية تمتع من معين التضاد والمفارقة لتؤثت نصوصها الفنية بظاهرة أسلوبية بلاغية تعزز طاقاتها الدلالية والجمالية، كذلك نجد جل أشكال التعبير الشعبي تقوم على تلك الظاهرة، مما يحقق تميزها وتفردا في أساليبها ولغتها فيعمق جمالياتها من جهة، ويدعم قدراتها التبليغية والإقناعية بما يستميل المتلقي ويثير انتباهه من جهة أخرى.

تهدف هذه الدراسة الموجزة إلى الإجابة عن بعض الإشكالات في مقدمتها:

- المفارقة: بحث في البنية والمفهوم.
- الوظيفة الجمالية والدلالية للمفارقة.
- المفارقة من منظور تجلي/ خفاء في الأدب الشعبي.
- الكلمات المفتاحية: مفارقة، أدب شعبي، بلاغة، معنى، أسلوب.

ABSTRACT:

The term (Irony) has become common in critical studies focused on classical literature. At the same time, it is scarcely found in research concerning folk literature. Although irony shapes the foundation of most official and informal discourses. Just as we find some poems, poetic flashes, and prose writings drawing from the wellspring of contrast and irony to furnish their artistic texts with a stylistic and rhetorical phenomenon that improves their semantic and aesthetic energies, we also find that most forms of folk expression rely on this phenomenon. This reliance fulfills their distinction and uniqueness in their styles and language, deepening their aesthetics on the one hand and supporting their communicative and persuasive abilities in a way that captivates the recipient and draws their attention on the other. This brief study aims to answer some problematic questions, foremost among them:

- Irony: A research instructure and concept.
- The aesthetic and semantic function of irony.
- Paradox from the perspective of revelation/concealment in folk literature.

Key words: Irony, Folk Literature, Rhetoric, Meaning, Style.

مقدمة:

وُجدت المفارقة، كإجراء بلاغي أو ظاهرة أسلوبية جمالية، منذ القدم، وهي تحمل في ذاتها معاني التعارض والتضاد، كما أنّها تروم العدول عن المعنى الظاهر/المألوف، وتكسر رتابة السائد المعلوم، "ونحن نمارس المفارقة ونشعر بجمالها دون وعيٍ منّا، فالإنسان بفطرته يميل إلى تحطيم ما هو مألوف من وسائل التعبير، كأنّه بذلك يجد متعةً وجمالاً" (الحليم، 2014، صفحة 17)، وعليه يكون الإنسان قد مارس (المفارقة) في خطابه دون أن يحددها بمصطلح، أو يقيدها بمفهوم.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تحديد مفهوم المفارقة التي اختلف في وضع مدلولاتها نقاد كثر، ومن ثمة تقصي مظاهر تحققها في الأدب الشعبي بعدما شجّ البحث في هذا المجال، ذلك أنّ المفارقة غالباً ما ترد في الأدب الرسمي، وتتمّ دراستها في إطاره، كما تطرح هذه الورقة البحثية المقتضية؛ إشكالية تحقق المفارقة في الأدب الشعبي، وطرائق تجلّيها، ومدى تأديتها لوظائفها الجمالية والدلالية داخل النص.

1. المفارقة: بحثٌ في البنية والمفهوم:

يُرجّح أنّ مصطلح (المفارقة) ظهر في متون الفلاسفة اليونان، ومنهم سقراط في محاوراته وأفلاطون في جمهوريته تحت مسمّى Eironeia، وفي مواضع أخرى: Paradox، التي تعني المفارقة الضدية. ثمّ انتقل المصطلح إلى الفلاسفة المحدثين، ومنهم شليغل الذي يرى أنّ: "المفارقة شكلٌ من النقيضة، والنقيضة شرط لا بدّ منه للمفارقة، فهي روحها ومصدرها ومبدؤها" (الحليم، 2014، صفحة 19)، حيث تمّ تداول الكلمة في اللغة الانجليزية بلفظ Irony الذي يتضمّن معاني متقاربة ومتداخلة كالتضاد والتعارض والسخرية والتورية وغيرها.

تقول الباحثة كلودين تايتوت Claudine Tayot: "تتصوّر البلاغة الكلاسيكية المفارقة على أنّها تناقض يدركه المتلقّي بين قصديّة الكلام والمعنى الحرفي لما يُقال" (Tayot، صفحة 13)، بمعنى أنّ البلاغة الكلاسيكية القديمة، تتصوّر أنّ المفارقة (l'ironie) هي تناقض أو تعارض يُدركه المتلقّي بين نيّة الكلام والمعنى الحرفي له، والمفارقة عند Claudine Tayot تتضمّن معاني (السخرية) و(التناقض) كما ورد في البلاغة الغربية القديمة.

وهو ما تؤكّده نبيلة إبراهيم بقولها أنّ مصطلح المفارقة لم نجد له حضوراً في اللغة الانجليزية إلّا مطلع القرن السادس عشر، كما أنّها لم تُستعمل استعمالاً عامّاً إلّا في نهاية القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر، وكانت المفارقة تعني "أن يقول الإنسان عكس ما يعنيه، كما تضمّن معنى السخرية" (إبراهيم، 1987، صفحة 132)، وعليه فالمفارقة تتداخل في مفهومها مع أنماط أسلوبية وبلاغية أخرى كالتهمك والسخرية.

في السياق ذاته، لم يرد مصطلح (المفارقة) في المعاجم البلاغية العربية القديمة بلفظه، وإن كان حاضراً بصورة لافتة في القرآن الكريم، وفي شعر الشعراء وإبداعات الأدباء والنقاد، "فقد عرف الأدب العربيّ ضروريّاً بلاغيةً تدخل في المفارقة أحياناً، ولا تدخل أحياناً أخرى، بحسب درجة التنافر بين عناصرها، إن كان هناك تنافر، وهذا - كما نعتقد - هو السبب الرئيس الذي جعل النقاد العرب القدماء لا يطلقون عليها لفظ المفارقة، مثل تجاهل العارف (أو سوق المعلوم مَسَاق المجهول) والمدح بما يشبه الذمّ وعكسه، والاستثناء وحسن التعليل والتندرّ وغير ذلك" (الخفاجي، 2007، صفحة 13)، وإن كانت نبيلة إبراهيم تعتقد بأنّ الجاحظ هو الصانع الأوّل للمفارقة في التراث النقدي العربي القديم من باب تعرّضه لبعض الظواهر السلبية في المجتمع بالنقد والتعريض والسخرية والتهكم.

ردفاً على ما قيل؛ يعتقد بعض الباحثين بصعوبة وضع تعريف جامع قارّ لمصطلح المفارقة، ذلك أنّه ليس هيناً الإلمام بمفاهيمه الغائمة، والإحاطة بمعانيه المتباينة، تقول نبيلة إبراهيم:

"وإنّما المفارقة لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين: صانع المفارقة وقارئها، على نحوٍ يقدّم فيه صانع المفارقة النصّ بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى رفضه بمعناه الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفي، الذي غالباً ما يكون المعنى الضدّ، وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ للقارئ بالّ إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه ليستقرّ عنده" (إبراهيم، 1987، صفحة 132).

بمعنى أنّ المفارقة هي لعبة عقلية/ذهنية تقع بين قطبين فاعلين في العملية الإبداعية وهما: المرسل (المبدع) والمرسل إليه (المتلقّي)، فيعمد الأوّل إلى المراوغة بالمعاني والتلاعب بالأساليب، ويضطلع الثاني بمهمة كشف مغالقات تلك اللعبة على النحو الذي يُقنعه ويُرضيه.

ويعرّفها عبد القادر الرباعي بقوله: "المفارقة أسلوب مثير لأنّه ناتجٌ عن تقاطع داخل النفس بين ما يُتوقّع وما يحدث واقعاً، وهي حيلة بلاغية يستخدمها الكاتب للتعبير عن معنى يتضادّ مع معنى آخر مستقرّ في الذهن" (الحليم، 2014، صفحة 26) ولا يتأتّى ذلك إلا من خلال أساليب وتقنيات معينة يستعين بها الكاتب على جعل المعنى الظاهر، يُناقض المعنى الباطن أو ما يسمّى بالتعارض في المعنى.

تتكوّن المفارقة من جملةٍ من العناصر في مقدّماتها:

- وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد؛ المستوى السطحي للكلام على نحو ما يُعبّر به، والمستوى الكامن الذي لم يُعبّر عنه، والذي يلجّ القارئ على اكتشافه.
- لا يكون الوصول إلى إدراك المفارقة إلا من خلال إدراك التعارض أو التناقض بين الحقائق على المستوى الشكلي للنصّ (إبراهيم، 1987، صفحة 133).

في العنصر الأول؛ يقع الكلام في مستويين؛ أحدهما صريح والآخر تلميح، ممّا يشدّ انتباه المتلقّي، فيحاول إدراك ما وراء المعنى الصريح، واستكناه خلفيّاته الدلاليّة وإيحاءاته العميقة، وبالتالي يصير المتلقّي طرفاً مُشاركاً في صنع المفارقة.

أمّا العنصر الثاني، فيدللّ على وجود تناقض/تضارب أو حقيقة متوارية خلف مثيلتها، من شأنها الحفاظ على سيرورة المفارقة، من خلال نمطٍ من التعارض/التضادّ الذي يستثير المتلقّي، فيتوقّف عنده ليُعمل ذهنه وفكره في سبيل تمييز الحقيقة المقصودة من وراء ذلك التعارض.

2. الوظيفة الجمالية والدلالية للمفارقة:

تعدّ (المفارقة) ممارسة بلاغيّة أسلوبيّة تتجلّى في الخطاب الأدبي الفصيح وفي الأدب الشعبي، يعبر بها المتكلّم عن أغراضه ومراميه على وجهين متباينين أحدهما جليّ والآخر خفيّ، ولا تكون المفارقة على مستوى الأسلوب فحسب، وإنّما تتحقّق كذلك على مستوى الفكرة، حيث يحتاج صانع المفارقة إلى ذكاء لغويّ قادح للتلاعب بجُملة وأساليبه، كما يحتاج متلقّي المفارقة إلى سرعة بديهة وإعمال فكرٍ حتّى يتسنى له فهم المعنى الباطن لجُملة القول، ذلك أنّه في الوقت الذي يتلقّى فيه صيغة المفارقة، يتملّكه توتّر ورغبة قويّة في الفهم والتحليل، ممّا يقتضي ذكاءً وفطنةً حتّى يدرك المفارقة على وجهها الصحيح.

وللمفارقة وظيفة مهمّة في الأدب والشعر "فهي في الشعر تتجاوز حدود الفطنة وشدّ الانتباه إلى إيجاد التوتّر الدلالي في القصيدة عبر التضاد في الأشياء، الذي قد لا يتولّد فقط من خلال الكلمات المثيرة والمروعة في السياق، بل عبر إمكانات الشاعر أو الأديب البارة في توظيف مفردات اللغة العاديّة واليوميّة، وكلّما اشتدّ التضاد ازدادت حدّة المفارقة في النص" (متولي، 2014، صفحة 14).

فالمفارقة تقوم أساساً على التضاد والتعارض، سواء على مستوى اللفظ أم على مستوى الدلالة، ممّا يولّد متعةً ويحقّق فائدة لدى المتلقّي.

ممّا سبق قوله، يمكّ إيجاز الوظائف الدلاليّة والجمالية للمفارقة فيما يأتي:

- العدول عن المباشرة في التعبير الفنيّ إلى الموارد والتعظيم، ممّا يخلق نوعاً من الانقلاب في الدلالة، المؤدّي إلى استثارة المتلقّي وتحفيزه على الفهم والإدراك.
- تحقيق شعريّة الخطاب "بالتقاء الأضداد والتئام النقائص الذي من شأنه أن يخرق أفق توقّع المتلقّي، ولا يغادره حتّى يترك لديه انطباعات ودهشة وأثراً عميقاً وهذا غاية كلّ مبدع والهدف من كلّ نص" (علي، 2019، صفحة 84)، فالمفارقة تصنع جماليّة خاصّة ومتفرّدة للخطاب الإبداعي.
- إضفاء عامل الغموض على الصورة الفنيّة في الخطاب، ولكنّه ليس غموضاً مستغلماً مستعصياً على الفهم، بل هو تخفيّ لطيف يُربك المتلقّي، فيدفعه إلى اقتناص المعنى المُراد.

■ تشكيل رؤية فكرية عميقة للخطاب، يريد بها صانع المفارقة التعبير عن رأيه تجاه مواقف سياسية أو إبداء وجهة نظره حول قضايا اجتماعية ما، أو نقد بعض التصرفات السلبية من الأشخاص والمؤسسات مهما كان نوعها، بعيدا عن تبعية الرقابة والتهديد وبمأمن من العقاب.

■ تؤدي المفارقة في كثير من الأحيان وظيفة السخرية والتهكم، من خلال رصد تناقضات المجتمع ومزلق الإنسان في الواقع، فتنتقدها بطريقة ساخرة، تثير الضحك (ظاهريًا)، لكن سرعان ما يتحوّل الضحك إلى مأساة داخلية تجعل من متلقّي المفارقة، يعيد النظر في رؤيته لذلك الواقع، غير أنّ "المفارقة لا تعني الهجوم على نحو ما تفعل السخرية، كما أنّها لا تتعمّد تعرية الشخص المهاجم من ادّعاءاته وأسلحته بهدف كشف حقيقة داخله، وإنّما يظلّ صاحب المفارقة على خلاف ذلك، شريكا كاملا للضحية في مأساتها ومحتّمها" (إبراهيم، 1987، صفحة 139).

بمعنى أنّ الغرض من المفارقة الساخرة ليس مجرّد السخرية والتفكّه والإضحاك، وإنّما غرضها تقويم السلوك وتصويب الأفعال والتنبيه على الخلل الواقع سواءً في الإنسان أو في الظاهرة بشقّي أنواعها، وبهذا يكون صانع المفارقة شريكا فاعلا في ذلك الواقع.

3. المفارقة من منظور تجليّ / خفاء في الأدب الشعبي:

استنادا إلى كون المفارقة؛ بنية تعبيرية وتصويرية، متنوّعة التجليات، متميّزة العدول على المستويات الإيقاعية والدلالية والتركيبية، "تُستعمل بوصفها أسلوبا تقنيًا يمنح المتلقي لذّة ومتعة من خلال الكشف عن علاقة التضاد غير المعهودة بين المرجعية المشتركة الحاضرة أو الغائبة والرؤية الخاصة المبدعة" (الخفاجي، 2007، صفحة 63)، يمكن تحديد مستويات حضور تقنية المفارقة في الأدب الشعبي انطلاقا من هذه الرؤية كالآتي:

1.4. المفارقة في النكتة الشعبية:

تُعرّف النكتة بكونها: "خبزٌ قصير في شكل حكاية، أو هي عبارة أو لفظة تُثير الضحك... والنكتة تركيبية لغوية معقّدة، تهدف إلى الوصول إلى الحلّ اللغوي الذي يدركه السامع" (إبراهيم، 1974، صفحة 176) بمعنى أنّ النكتة توظّف اللغة توظيفاً مغايراً لما هو مألوف ومنطقيّ، حيث لا تستخدم اللغة لنقل خبرٍ أو إدراكٍ أمرٍ ما بطريقة مباشرة، بل تستخدمها بغرض إخفاء معنى آخر يُخالف المعنى الظاهري، بطريقة عبثية لا منطقية، بغرض الوقوف عند مفارقات الواقع ومتناقضاته.

تُعدّ النكتة الشعبية من بين أهمّ أشكال التعبير الشعبي القائمة على المفارقة، حيث تنأسس على بناء مزدوج من المعنى، أحدهما مثير للضحك والآخر مُثقل بالإيحاءات الخفية التي يقصدها المتكلّم، ولعلّ التركيبية اللغوية للنكتة وطريقة التلاعب فيها بالألفاظ، والدهشة التي تُثيرها لدى المتلقّي فتدفعه

إلى سرعة الكشف عن المعنى الحقيقي، وكذا خروجها عن المنطق والمعقول في كثير من الأحيان، كل ذلك يمثل وجهًا من وجوه المفارقة التي تُبنى عليها أساسًا.

تتحقق المفارقة في النكتة الشعبية من خلال عدة أساليب منها:

■ تداخل العوالم (الخلط):

يُتبع هذا النمط أو الأسلوب في النكتة التي تنطلق من مستوى عادي مألوف أو مستويين اثنين، وتنتهي بمستوى آخر غريب، حيث "يُدمج شيئين أو أمرين مستقلين في شيء أو أمر واحد.. إنها طريقة دمج طرفي أو شخصي المفارقة، وهي مناسبة للنكات التي تتكشف فيها مقدمات معينة عن نتائج مخالفة" (ياسين، 1996، صفحة 111)، ومثال ذلك:

"جزائري وماريكاني وفرنساوي، قالولهم ابلوكيو bloquer الكمبيوتر، الماريكاني جرب جرب جرب ما قدرش، الفرنسي جرب جرب جرب ما قدرش، جا الجزائري بلوكاه، قالولو: كيفاش؟؟ قالهم: عطيتلو مسألة صغيرة: حقل طوله 75 هكتار وعرضه 50 هكتار، كم عمر الفلاح؟"

تحققت المفارقة في هذه النكتة من خلال الخلط (التداخل) على مستوى طريقة التعبير، حيث تمّ الانطلاق من حدث عادي (طلب إغلاق أو حجب جهاز الكمبيوتر)، ثمّ انتقل المتكلم إلى حدث آخر منطقي/عادي، وهو (محاولة الأمريكي والفرنسي حجب الجهاز)، لتأتي المفارقة في المستوى الأخير، حيث يُباغت المتلقي بنتيجة تُخالف تماما المقدمات الأولى (سؤال الجزائري: كم عمر الفلاح)، فيتشوّش ذهنه، ويُخترق أفق توقعه وتُخالف الاحتمالات التي حضّرها مسبقا في ذهنه.

■ المبالغة:

أو التهويل، وفيه يتغيّر مسار النكتة من المستوى العادي إلى آخر استثنائي، "فيتضخّم المسار الأصلي للحدث، لينتقل إلى نقيضه، ثمّ يعود بتأثير عامل خارجي إلى حجمه الطبيعي أو مساره الأصلي" (ياسين، 1996، صفحة 135)، فيتّسع مجال المفارقة باتّساع الهوة بين الحدث الأصيل والآخر المُبالغ فيه، وهذا النموذج يُعبّر عنه بالمبالغة الكاذبة أو الكذب المفضوح، ومنه التباهي الفارغ والادّعاء الكاذب على حدّ تعبير الباحث بوعلي ياسين، ومثال ذلك:

"فرنسي وأمريكي جاو للجزائر، ركبوا طاكسي مع شوفور جزائري، الطريق كاملة وهوما يكذبو، الفرنسي يقول للأمريكي: تعرف برج إيفل؟؟ بنيناه في سمانة وحدة برك، الأمريكي قاله: تعرف برج التجارة العالمي؟؟ بنيناه في 5 أيام.. شوية فاتو على مقام الشهيد، قالو للشوفور: واشنو هذا؟؟ قال لهم: والله ماني عارف، غير صباح جزت منّا ماكانش مبني".

تقع المفارقة في هذه النكتة على مستوى المبالغة في الكذب، وتهويل الحقيقة، حيث يصطدم المتلقي بحديث كاذب مبالغ فيه عن حقيقة واقعة فعلا، فيكون الأمر مدعاة للضحك، وتعدّ المبالغة من أكثر الأساليب تحقيقا لظاهرة المفارقة في النكتة الشعبية، وأوسعها تداولاً، لأنّها تُوصل رسالتها إلى المتلقي (وقد يكون هو المعنى بالرسالة) دون أن يدرك ذلك ودون أن يُفتضح.

■ النّشاز:

"كأن يقع تنافرٌ ونشاز بين أشخاص من طبقات اجتماعية متباينة، عندما تلتقي في موقف معيّن، فيبعث الأمر على الضحك، ويتحقّق النّشاز "عندما يكون السلوك غير منسجم مع الوسط الغريب الذي يتواجد فيه المرء المعنيّ، مع أنّ هذا السلوك قد يكون طبيعياً في وسطه الأصلي" (ياسين، 1996، صفحة 140)، فيكون النشاز وجهاً من وجوه المفارقة.

ومثال ذلك قولهم:

"عندي صديق من روسيا قالي: كم هي عظيمة المرأة الجزائرية، قتلو: أكيد هي عظيمة... بالصّح علاه قلت هكذا؟؟ قالي: كنت في دار واحد جزائري، صديق في العمل، شُفت مرتو تخييط في أزرار القميص وبعد ما كملت باست القميص، تمّيت أنّو كلّ الروسيات كيما هي، قتلو: وي صح، وخليتو في نيتو، ما حبيتش نقلو: راهي تقطّع في الخيط بأسنانها".

فسلوك المرأة في النكتة غريبٌ بالنسبة للروسيّ، الذي بدا ساذجاً، مع أنّه سلوك عادي ومألوف في وسطه الطبيعي (في الجزائر)، ف وقعت المفارقة من خلال التنافر (النشاز) حول سلوك لا ينسجم مع ذهنيّة الشخصيّة الأجنبية (الروسي)، في حين بدا عفويّاً، طبيعيّاً ومألوفاً بالنسبة للشخصية الجزائرية.

2.4. المفارقة في المثل الشعبي:

يعدّ المثل الشعبي من أكثر أنواع التعبير الشعبي انتشاراً وسرعةً في التداول، وقد حظي باهتمام الدارسين لعمولته الدلالية الثقيلة أولاً، و لإيجاز عبارته وسهولة جمعه وتصنيفه ثانياً، ولارتباطه الوثيق بالمجتمع بجميع فئاته وطبقاته ثالثاً، وتكمن أهمية المثل في مدى تأثيره على الناس من خلال إبراز سمات الثقافة الشعبية ومظاهرها المختلفة، وكذا التعبير عن مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية وغيرها، وفق أسلوبٍ بسيطٍ وسهلٍ لا يخلو من التلميح والإشارة.

ترى نبيلة إبراهيم أنّ "الأمثال الشعبية مبنية أساساً على المفارقات، فهي لا تتحقّق لغويّاً إلا عندما يُتعمّق الواقع، ثمّ تُنتزع منه الحقائق المتناقضة لتشكّل، بعيداً عن الواقع، تشكيلاً تمثيلاً خيالياً، ومن هنا جاءت تسميته بالمثل، ولهذا فإنّه عندما تدرس فنيّة المثل الشعبي، يصبح من الضروريّ الوقوف على الصنعة الاستعارية والتمثيلية فيه، لأنّهما هما اللتان تصنعان شكله المغلق على حساب اختزال الفكرة، وهذا ما يمثّل أهمّ صنعة في الأدب الشعبي" (إبراهيم، المفارقة، 1987، صفحة 139).

وتتجلى بنية المفارقة في المثل الشعبي عبر عدّة مستويات نذكر منها:

■ التعارض بين الصفة والموصوف:

يقول المثل: "الذيب كي ما يلحقش للعنب يقول حامض" يُطلق هذا المثل على الشخص الذي يريد الحصول على شيء ما ويعجز عن ذلك، وبدل أن يعترف بفشله في الوصول إلى مبتغاه، يصفه بصفات سلبية، وتتجلى المفارقة هنا في كون المرجعية الحقيقية أو الحياتية تؤكد أنّ العنب (الموصوف) فاكهة حلوة، بينما يُحيل هذا المثل الشعبي على فكرة أنّ العنب فاكهة حامضة (الصفة).

فالمفارقة جاءت على مستوى فكرة التعارض بين الصفة وموصوفها، حيث تمّ استبدال العلاقة المنطقية بين العنب وطعمه وهي (عنب/حلاوة) بأخرى تتنافر معها وهي (عنب/حموضة)، على سبيل توصيل فكرة مؤداها: العجز عن نيل المطالب لدى بعض الأفراد، يجعلهم يبرّون فشلهم بدمها.

■ خرق المعطى المرجعي على سبيل الاعتراض:

يقول المثل: "الحمار حماري وركوبي ملّور (من الورا)"، يُضرب هذا المثل في الشخص الذي لا يستطيع التصرف في أملاكه، وقد تمّت عملية خرق المعطى المرجعي وتجاوز الوضع الطبيعي للحدث من خلال هذا المثل، في كون (صاحب الحمار/المالك) يُطلب منه ركوب الحمار من الخلف، مع أنّ الوضع الطبيعي للحدث يُشير إلى أنّ (صاحب الحمار) هو من يركبه من الأمام، أي يتولّى قيادته وتوجيهه، فالمفارقة تتجلى في فكرة أنّ (صاحب الحمار/المالك) يُتوقع منه أن يكون في صفّ القيادة لا في صفّ التبعيّة، في حين أنّ المثل يقول عكس ذلك.

4. خاتمة:

من خلال ما سبق عرضه في متن البحث، يمكن الجزم بأنّ مصطلح (المفارقة) يكتنفه الغموض لما يتضمنه من دلالات كثيرة تتقارب في المفاهيم وتتداخل في التطبيقات، كما تقع (المفارقة) في الأدب الشعبي، على غرار الأدب الفصيح، على مستويين أحدهما جليّ ظاهر والآخر خفيّ، فيقوم المتلقّي بكشفه وتأويله، وغالبا ما تتضمن معاني التضاد والتعارض، كما تُحيل في بعض الأحيان إلى السخرية والتهكم، بحسب السياق الذي ترد فيه، ولا تختصّ (المفارقة) بالأدب الفصيح فحسب، بل نجدها تتحقّق على المستوى اللغوي والدلالي للأدب الشعبي، الذي يختصّ بمميزات فنيّة جماليّة، تخلق فرادته، وتحقق تميّزه، في مقدّماتها الجانب البلاغي الذي يختصّ به الأدب عموما بشقيّيه الشعبي والفصيح.

5. نتائج البحث:

■ اختلف النقاد في تحديد مفهوم (المفارقة) وتوضيح مدلولاتها وتقصي مظاهر تحقّقها في الأدب الشعبي.

- يُعدّ الأدب الشعبي شكلاً من أشكال التعبير المفعمّة بالدلالات والإيحاءات العميقة، وهو على بساطة تركيبه اللغوي، غير أنّه يميّز – على غرار الأدب الفصيح – بمكوّناته الفنيّة الخاصّة التي تحقّق جماليته وترسم خصوصيّته الأسلوبية.
- تحمل المفارقة معنيين متعارضين؛ أحدهما جليّ وواضح والآخر خفيّ، وهو ما جعل الالتباس يقع بينها وبين مصطلحات أخرى كالسخرية والنقيضة والتورية.
- تتحقّق المفارقة في جلّ أنماط التعبير الشعبي، منها: النكتة والمثل، حيث إنّ هذين النوعين الأدبيين يعتمدان أساليب بلاغية مراوغة، تقوم في عمومها على التعارض بين المعاني، فيُقدّمان للمتلقّي معنى ظاهراً لا يكون هو المقصود من الكلام، ومعنى متوارٍ خلف سماتٍ أسلوبية معيّنة كالسخرية في النكتة والإيجاز مع التعارض في المثل، من شأنها التأثير في المتلقّي، وتحفيزه على فهم القصد الحقيقي من ذلك الكلام، ويبقى سياق الخطاب هو ما يحدّد قصديّة المتكلّم.

المراجع:

1. Claudine Tayot. L'ironie. France : université de lyon.
2. بوعلي ياسين. (1996). بيان الحدّ بين الهزل والجدّ (دراسة في أدب النكتة) (الإصدار ط1). دمشق، سوريا: دار المدى.
3. جمال الدين عبد الهادي وخلف الله بن علي. (2019). مفارقاتيّة البيان العربي. مجلة فصل الخطاب ، المجلد: 07 (العدد: 27).
4. رنا أحمد عبد الحليم. (2014). جماليات المفارقة في القصص القرآني. الأردن: سلسلة كتاب الشهر، وزارة الثقافة.
5. قيس حمزة الخفاجي. (2007). المفارقة في شعر الرواد (الإصدار ط01). العراق: دار الأرقم.
6. نبيلة إبراهيم. (1974). أشكال التعبير في الأدب الشعبي (الإصدار ط2). القاهرة، مصر: دار نهضة مصر.
7. نبيلة إبراهيم. (1987). المفارقة. مجلّة فصول (قضايا المصطلح الأدبي) ، المجلد: 07 (العدد: 04/03).
8. نعمان عبد السميع متولي. (2014). المفارقة اللغويّة (في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم). مصر: دار العلم.